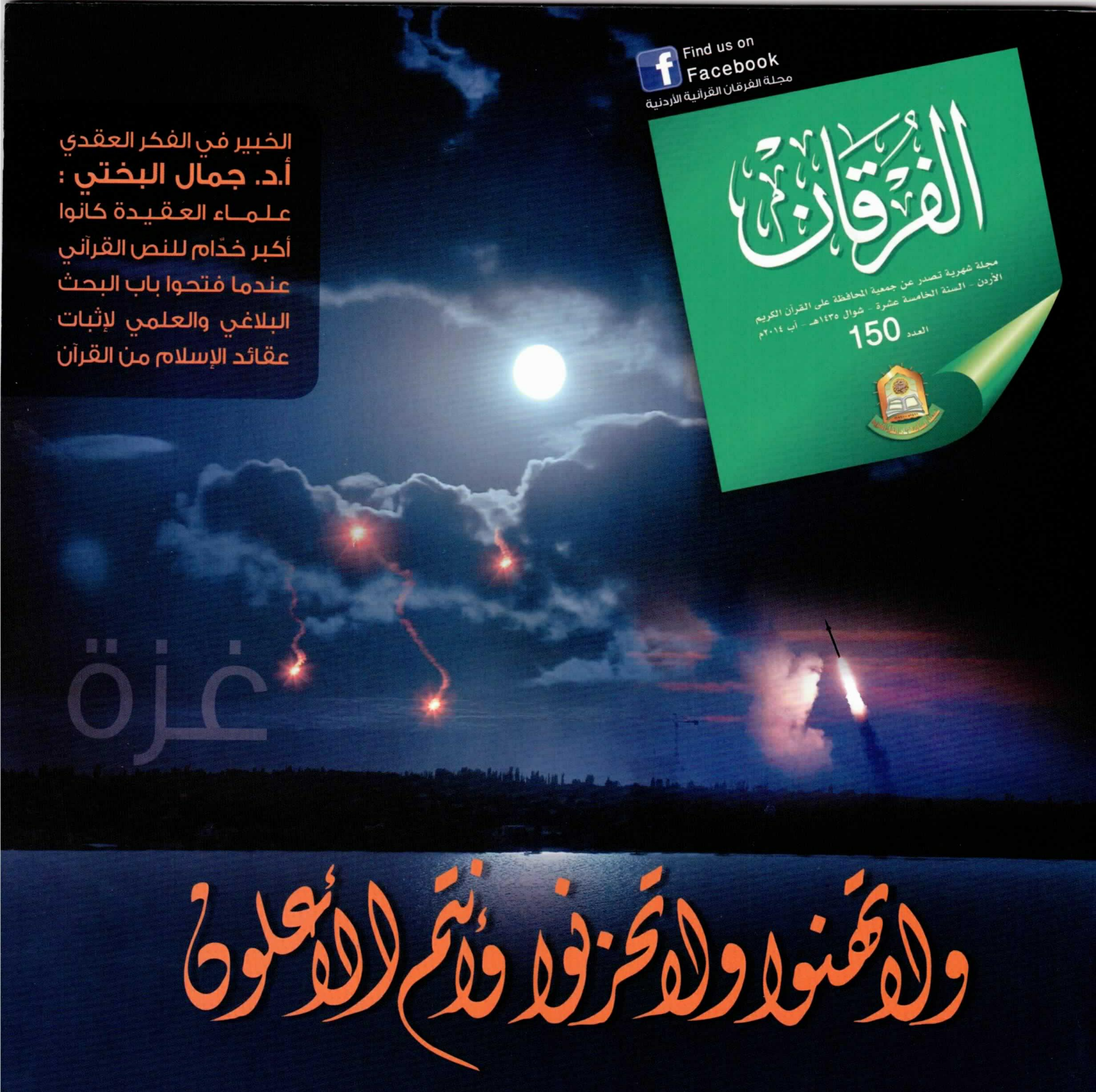

Find us on Facebook
مجلة الفرقان القرآنية الأردنية

الفرقان

مجلة شهرية تصدر عن جمعية المحافظة على القرآن الكريم
الأردن - السنة الخامسة عشرة - شوال ١٤٣٥هـ - آب ٢٠١٤م
العدد 150

الخبير في الفكر العقدي
أ.د. جمال البختي :
علماء العقيدة كانوا أكبر خدّام للنص القرآني عندما فتحوا باب البحث البلاغي والعلمي لإثبات عقائد الإسلام من القرآن

غزة

ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون

- وعي الأمة وما يخطّط لها
  د.عودة الله القيسي
- ويأبى رمضان إلا..
  أ.د.أحمد شكري
- القرآن والأسباب الداعية لفاعلية الإنسان
  أ.د. محمد عثمان شبير
- اقتران العلو في الأرض بالفساد في ضوء القرآن
  د. توفيق زبادي

البنك الإسلامي الأردني ... رائد العمل المصرفي الإسلامي في الأردن

(الفرقان) تحاور رئيس مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية بالمغرب

أ.د. جمال علال البختي

حاوره: د. رشيد كهوس

د. البختي: أعتقد أنّ علماء العقيدة كانوا أكبر خُدّام للنص القرآني عندما فتحوا باب البحث البلاغي والعلمي لإثبات عقائد الإسلام مِن الكتاب الكريم

لأهمية العقيدة الإسلامية في حياة الأمة ووظيفتها الحضارية الكبرى، أحببنا أن نستضيف في هذا الحوار الخبير في الفكر العقدي فضيلة الأستاذ الدكتور جمال علال البختي، وهو من مواليد مدينة (تطوان) المغربية سنة (١٩٦٢م)، حصل على شهادة دكتوراه الدولة من جامعة محمد الخامس بالرباط - كلية الآداب، في موضوع: (الفكر العَقَدي في المغرب بين السلفية والأشعرية)، كما حصل على دبلوم الدراسات العليا من نفس الكلية بموضوع: (عثمان السلاجي ومذهبيته الأشعرية - دراسة لجانب من الفكر الأشعري بالمغرب من خلال «البرهانية» وشروحها). يعمل حاليّاً أستاذاً للعقيدة، ثم للفكر والفلسفة الإسلاميين بكلية أصول الدين بتطوان / جامعة القرويين، وأستاذاً زائراً بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بـ(مرتيل) / جامعة عبد المالك السعدي، وبدار الحديث الحسنية بالرباط (سابقاً)، كما يتولّى رئاسة مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية بتطوان التابع للرابطة المحمدية للعلماء، ورئاسة تحرير مجلة الإبانة. له العشرات من المشاركات العلمية في ندوات ومؤتمرات ومجلات علمية محكمة ومتخصصة.

ومن مؤلفاته النفيسة: (عقيدة أبي بكر المرادي الحضرمي: تحقيق وتقديم)، (الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب)، (مقدمات المراشد في علم العقائد لابن خمير السبتي: تقديم وتحقيق).

الفرقان: فضيلة الدكتور جمال، في مستهل هذا الحوار، نرحّب بك ونودّ افتتاح هذا الحوار بنبذة مختزلة عن مركز أبي الحسن الأشعري.

د. جمال: بدايةً، أشكر هيئة تحرير مجلة الفرقان الأردنية على كريم استضافتها لي في هذا الحوار، وبعد؛ فإنّ مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية من المراكز العلمية للرابطة، تم إنشاؤه بمدينة (تطوان) في شهر مارس سنة ٢٠١١م، ويتقاطع داخل هذه المركز بُعدان، الأول: مرتبط بالمتفق عليه مِن الثوابت الوطنية

الموجِّهة للرؤية الدينية والمذهبية بالمغرب، وآخر: علمي محض؛ لأنه مركز للبحث العلمي المحايد والموضوعي. ولعل مهمّة المشرفين على مراكز الرابطة في خصوص تدبير هذين البُعدين، تتطلّب نوعاً من التوازن بين ما يتطلّبه البحث النزيه مِن تجرّد ومصداقية ونقد، وبين ما ينبغي الالتزام به من محافظة على تصوّرات خاصة لمفهوم إصلاح الحقل الديني بالشروط والمواصفات التي اتفق عليها المغاربة الآن، ومِن ثمّ فإنّ أيّ مشاركة في بناء الرؤية التصوُّرية للعمل والبحث، لا بد أن تستند إلى تصوُّر مشروعي في صياغة الفلسفة الجوهرية التي يلزم سلوكها في تخطيط الآفاق، وتبنّي المنهجيات، واختيار الموضوعات والقضايا ذات الأولوية في مجال البحث العلمي في المراكز المذكورة.

الفرقان: ما هو دور علم العقيدة في خدمة القرآن الكريم وفهم آياته:

د. جمال: القرآن الكريم مُجَلٍّ للعقيدة ومصدرها ومنطلقها؛ فهو الكتاب الذي ضَمَّ أسس العقيدة الإسلامية وثوابتها، ومِن ثمَّ فالاستمداد الديني الإيماني منه انطلق، وعلى آياته انبنى، وإليه يعود. وعندما نتحدث عن أركان العقيدة وعن المجال الثابت في الدرس العقدي، لا شك أننا نلتجئ أولاً إلى كتاب الله تعالى، ثم إلى السُّنّة الصحيحة ثانياً (إذ لا مجال لاجتهاد العقول في هذا الجانب الغيبي)؛ فمهما اختلف المختلفون مِن الفِرَق الكلامية في الإسلام: (معتزلة، وأشاعرة، وشيعة، وخوارج، ومرجئة، وسلفية، وغيرهم)، إلا أنهم متفقون على أنّ القرآن الكريم هو أصلهم ومستندهم فيما تبنّوا مِن عقائد وأركان إيمانية؛ فالجميع متفق على أنّ معجزة القرآن هي حُجّة محمد ﷺ في إثبات نبوّته ورسالته. وأعتقد أنّ علماء العقيدة على هذا المستوى كانوا أكبر خُدّام للنص القرآني عندما فتحوا باب البحث البلاغي والعلمي لإثبات عقائد الإسلام مِن الكتاب الكريم.. يكفي أنّ نستحضر في هذا المقام مجهودات أبي بكر الباقلاني في مؤلفاته الكلامية مثل: (التمهيد) و(الإنصاف)، ولكن بصفة خاصة نستحضر كتابه: (إعجاز القرآن)، كما نتذكّر أبا بكر الجرجاني

وكتابه: (دلائل الإعجاز)، ولا ننسى دور الزمخشري صاحب (الكشاف) في الدفاع عن القرآن والتعمُّق في بلاغته وبيانه، وأبا منصور الماتريدي صاحب التفسير الكبير المسمى: (تأويلات أهل السنّة)، وفخر الدين الرازي بتفسيره الضخم: (مفاتيح الغيب)؛ فكل هؤلاء وغيرهم -ممن لم أذكر في هذه العجالة- خدموا الكتاب الكريم خدمات جليلة، بل كانوا رُوّاداً في علوم بلاغية وبيانية تتعلق بالدراسات القرآنية.

الفرقان: باعتبارك خبيراً في العقيدة الأشعرية، ما هي الأبواب العقدية التي تحتاج إلى المراجعة والتجديد؟

د. جمال: إن مهمة المقوِّم لأحوال علم الكلام، الناشد اقتراحَ خطط تصحيحه وتجديده مهمّة شاقة ومعقّدة؛ إذ لا يكفي فيه الدعوة إلى مراجعة واحدة بل إلى مراجعات، ولا يغني الكلام فيه عن جانب واحد إثارة جوانب كثيرة أخرى لصيقة أو متداخلة متشابكة بالمتحدث عنه. و إنّ ارتباط علم الكلام بالخلفية العقدية والإيديولوجية للفرد والأمة يجعل مهمته ثقيلة وكبيرة؛ فلا مندوحة عن إثارة العلاقة بين العقيدة والواقع، ما دام أنّ السلوك هو في نهاية المطاف انعكاس لقناعات الفرد بالمبادئ والقيم المستمدة من فلسفته في الحياة. وقد تأكّد لكل مُنصف أنّ العقيدة الإسلامية أسهمت مساهمة حاسمة في تغيير وجه التاريخ الإنساني لقرون طويلة مِن عمر التاريخ البشري، ولم يتحقّق لها ذلك إلا بفضل التزام المؤمنين بها بما تضمّنته مِن أحكام نظرية وعملية، فتحصّل أنّ العقيدة كانت المحرك والملهم والموجه.

وإذا كانت الحضارة الإسلامية قد شهدت نكوصاً وتراجعاً في قرونها الأخيرة، فلا ريب أنّ المنتمين إليها فقدوا القدرة على استيعاب فلسفتها، وتنكّبوا عن روح منهجها ومقاصدها مما اهتدى من سبقهم من الموفّقين من أبناء الإسلام إلى التزامه. ويتأكّد لنا أنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يُعاد الاعتبار للأمة وحضارتها إلا إذا أُعيد النظر في التعامل والتقديم لثوابت العقيدة، وإلا إذا انتبه المتكلمون المعاصرون إلى الجوانب التي ينبغي أن تَلحقها المراجعة والتصحيح: في نواحي المضامين الاجتهادية العقدية، وفي منهج العرض، وفي المبادئ التي يقوم عليها البحث العقدي، ثم في الأشكال اللغوية والمنهجية التدريسية التي ترتبط بعلم الكلام وبالدرس العقدي.

إنّ مراجعة قائمة طويلة من الأفكار والنظريات والمناهج والبناءات والأشكال والطرائق المتعلقة بعلم الكلام صارت أمراً لازماً، وإنّ أهمّ ما يمكن أن يعيد للعلم اعتباره، ويضعه على سكة النجاعة، ويحقّق مقاصده الشرعية الدينية ثم فوائده التنموية الحضارية الدنيوية هو الانتباه إلى توسيع دائرة اهتماماته بأنْ يتفتّح على حاجات الوقت وعلومه ومناهجه ومشكلاته ولغاته.. ودون ذلك سيبقى علم الكلام علماً متحفيّاً، يُدرَس ويُقرأ للتبرُّك والتأريخ، وما أعتقد أنّ هذا هو القصد الذي من أجله كان الدين هو الإيمان (أي العقيدة).

> **د. البختي: لا يُسَوِّغ للمعتنقين للأفكار التكفيرية التحصُّن بالمشروعية الدينية؛ لأنّ روح الإسلام أوسع مِن أنْ تُحبَس في إطار فهوم واجتهادات تأويلية ضيقة، وعلى الحُكّام أن ينتبهوا إلى أنّ الغلوّ مرتبط بالأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية**

الفرقان: تُعتبر قضية (التكفير) مِن أهم القضايا التاريخية العقدية التي كان لها الأثر السيىء على الأمة الإسلامية. ما هي أهم الحلول الناجعة للحدّ مِن انتشار هذه الظاهرة؟

د. جمال: إن هذه الظاهرة تحتاج -في نظري- إلى دراسات متعدّدة مِن أجل فهمها والتعمُّق في أسبابها أملاً في محاصرتها والتنبيه على خطورة عواقبها.. واضح أنّ أهم أسبابها ترجع إلى محدودية الفهم لمبادئ الدين وفلسفته، كما ترجع إلى قصور الدُّعاة في فهم التحوُّلات التي يشهدها العالم (ومنه دولنا العربية والإسلامية) في خصوص قضايا الحقوق الكونية، كما ترجع -وهذا لا ينبغي إنكاره- إلى انتشار الظواهر المتناقضة مع روح الدين وتطبيقاته في المجتمعات الإسلامية، وإلى الحملات التحريضية وإلى الاضطهاد الذي يتعرض له المتديّنون وأصحاب الفكر الحر في معظم ربوع المعمورة، ولكنّ هذا كله لا يُبَرِّر انتشار هذه الظاهرة، ولا يُسَوِّغ للمعتنقين للأفكار التكفيرية نسب مواقفهم والتحصُّن بالمشروعية الدينية؛ لأنّ روح الإسلام أوسع، وسماحة الدين أرحب مِن أنْ تُحْبَس في إطار فهوم واجتهادات تأويلية ضيقة وعقيمة لدى فرد أو مجموعات محدودة من المسلمين.

أعتقد أنّ مواجهة هذه الظاهرة تحتاج إلى مجهودات كبيرة من العلماء (والمؤسسات العلمية)، ومِن قِبل أولي الأمر؛ فالجميع مُطَالَب بالقيام بأدوار توعوية لمناقشة أصحاب الفكر التكفيري، كما أنّ العلماء ذوي المصداقية في الأوساط الدينية مدعوون إلى الكتابة والتأليف في هذا الجانب الدقيق، وعلى الحُكّام أن ينتبهوا إلى أنّ الغلوّ مرتبط بالأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، وبتحقيق العدالة الشاملة بين المواطنين، وبتمكين الناس من الحريات الدينية والفكرية والسياسية، ولا يكفي لحلّ هذه المشكلات اعتماد الحلول الأمنية القمعية.